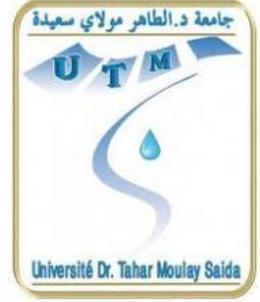


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة مولاي الطاهر - سعيدة -
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية وآدابها



مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس (ل . م . د)

تخصص : أدب عربي

المعونة ب

ثنائية المرأة و الوطن في الشعر المعاصر
في شعر نزار قباني " أنموذجا "

إشراف الأستاذ:

* بن محمد عامر *

من إعداد الطالبتين:

* بريجة سهيلة *

* بلعير فضيلة.

السنة الجامعية : 2020/2019

شكر و عرفان :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

عملا بقوله تعالى « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ».

نشكر الله على نعمه التي لا تقدر و لا تحصى و منها توفيقه تعالى على إتمام هذا العمل.

نتقدم بكل معاني الشكر و العرفان إلى أستاذنا الفاضل " بن محمد بن عامر " الذي كان له الفضل الكبير في إنجاز هذا العمل المتواضع و إخراجه إلى النور، فقد كنت أستاذي الرائع بمثابة سراج ينير درب كل طلبة قسم اللغة العربية وآدابها .

نكن لك كل الاحترام و التقدير لمجهوداتك الطيبة والقيمة .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها لتوجيهاتهم الطيبة والمفيدة .

إلى كل طلبة السنة الثالثة أدب عربي بجامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة 2019- 2020

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز وأغلى إنسانة في حياتي، التي أنارت دربي بنصائحها وكانت بحرا صافيا يجري بفيض الحب والبسمة، إلى من زينت حياتي بضياء البدر وشموع الفرح، إلى من منحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدرب وكانت سببا في مواصلة دراستي، إلى من علمتني الصبر والاجتهاد، إلى الغالية على قلبي " أمي " أطال الله في عمرها " سامي فاطمة "

إلى حكمتي وعلمي، إلى حلمي، إلى طريقي المستقيم، إلى طريق الهداية، إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأهل إلى روح أبي الطاهرة رحمة الله عليه " رمضان "

إلى الذين ظفرت بهم هدية من الأقدار إخوة فعرفوا معنى الأخوة، إخوتي الأحباء "مُحَمَّد " و"عبدو" وإلى أخواتي العزيزات "فتيحة" "كريمة" وإلى زوج أختي "منتقى الطاهر". وإلى القلوب الرقيقة و النفوس البريئة براعم العائلة: ملاك - محمود- شهد- لجين رهف.

إلى أعز وأخلص إنسان على قلبي إلى شريك العمر ونور الحياة إلى أروع من جسد الحب بكل معانيه، وبعث في نفسي روح الجد والأمل، فكان السند والعتاء، فقدم لي الكثير في صور من صبر وأمل ومحبة لن أقول شكرا بل سأعيش الشكر معك دائما " مزوزي أحمد ".

وإلى كل عائلة "بريجة" "مزوزي" "منتقى".

سهيلة

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضله، إلى من نزلت في حقهما الآية الكريمة

في قوله تعالى «ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا».

إلى من ربّتي وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الحبيبة
" أم الخير " .

إلى من عمل بكدي في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي الكريم " ضيف الله " .

إلى جدي أطال الله في عمرها وإلى القلوب الرقيقة والنفوس البريئة إخوتي "إبراهيم - مصطفى - حسين"
وأخواتي "خديجة - كريمة - عائشة وحليمة " وإلى ابن أختي "عبد الحمي " .

إلى من رافقتني في هذا العمل صديقتي ورفيقة دربي "بريجة سهيلة " .

إلى من ساعدني ووقف بجانبني " نور الدين " حفظه الله .

إلى من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي صديقاتي " صباح - أسماء - حنان - نوال - كريمة -
سليمة - نورية " .

وإلى كل عائلة " مكاوي " و " بلعير " .

فضيلة

خطة البحث

| الصفحة | العنوان |
|--------|--|
| / | كلمة الشكر |
| / | الإهداء |
| أ | مقدمة |
| 5 | الفصل الأول: ثنائية المرأة والوطن في الشعر المعاصر |
| 6 | - نبذة عن حياة نزار قباني |
| 10 | - المرأة الأم |
| 14 | - المرأة الحبيبة |
| 20 | - المرأة الجسد |
| 24 | - المرأة الوطن |
| 25 | - المرأة الثورة |
| 28 | - المرأة السياسة |
| 35 | - المرأة الرمز |
| 36 | - المرأة الأسطورة |
| 38 | الفصل الثاني: ثنائية المرأة والوطن في أشعار نزار قباني نموذجاً |
| 39 | - قصيدة جميلة بوحي نزار قباني |
| 44 | - تحليل قصيدة جميلة بوحي نزار قباني |
| 54 | خاتمة |
| 57 | قائمة المصادر والمراجع |

مقدمة

أحمد الله أولاً حمداً كثيراً متوالياً، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين ونصلي ونسلم على رسوله
ثانياً، صلاة تستغرق مع سيد البشر مُحَمَّد الأمين سائر المرسلين وبعد:

الشعر موقف أخلاقي لا تصنع فيه ولا تكلف، فهو الكلام الموزون المقفى، ويعتبر من الأشكال الإبداعية
الفنية والتعبير الذي جاءت به قريحة العرب عبر بحوره مختلفة الأوزان والأشكال، عبر مسيرة عشرات القرون من
الإبداع والإتقان.

لقد كانت المرأة مصدر الهام للشعراء منذ الأزل وطالما كانت الحضن الدافئ الذي يلجأ إليه الرجل، الأمر الذي
جعل الشعراء يتغنون بجمالها وصورها في عدة أشكال، ومن هؤلاء الشاعر نزار قباني الذي شغل الدنيا ببراعته
في تشكيل صورتها الفنية، ناهيك عن طريقة الإسقاط الفريدة، التي جعلتها ترتبط بالوطن، بل تمتزج به إلى
درجة تصدم القارئ حين يحاول مقاربتها في مثل هذه المواضيع، والكتابة من نزار قباني مغامرة ممتعة تستحق
من الباحث التسلح بثقافة عالية والتحكم في إجراءات تحليلية تكون في مستوى إبداعات هذا الشاعر للوقوف
على تجربته الشعرية .

وبالرغم من كون نزار قباني شاعراً للمرأة فقد تغنى بجانبها بالوطن أيضاً، كونه يراه المعادل للمرأة لعدة اعتبارات
منها : أنه الملجأ بل الحضن الدافئ الذي يوفر له السكينة عند العودة إليه، وهذا ما يترجم موقف الشاعر
والوفاء الواضح لقضايا الوطن العربي والقومية العربية، وعلى رأسها قضية فلسطين التي فجرت قريحة الشعراء
وعلى رأسهم نزار قباني، الذي راح يزاوج بين شعر الحب وشعر الوطن، مجسداً بذلك لوحة فنية ترسم خروجه
من مخدع المرأة إلى ميدان الرفض والمقاومة، لأن هذه الثنائية ماثلة في ذهنه ووجدانه، ومن هنا جاء هذا البحث
المرسوم ب (ثنائية المرأة والوطن في شعر نزار قباني) منطلقاً من إشكالية تتفرع إلى تساؤلات منها:

- كيف استطاع نزار قباني أن يزاوج بين المرأة والوطن في شعره ؟

- ما هي الاعتبارات التي جعلت شعره يجمع بين هذه الثنائية؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على منهجين، المنهج الوصفي إضافة إلى الإجراء التحليلي.

و قد اتبعنا خطة منهجية مؤلفة من مقدمة وفصلين وخاتمة، حيث اختصت المقدمة بعرض مكانة المرأة والوطن عند الشعراء قديما وحديثا بكونها مصدر الهام لهم، أما الفصل الأول فقد تناولنا فيه الحديث عن المرأة والوطن في شعر نزار قباني تطرقنا فيه إلى عدة موضوعات منها المرأة، الأم والمرأة الحبيبة والمرأة الوطن والثورة وكذا المرأة الملاك و الرمز والأسطورة، في حين أن الفصل الثاني تم فيه معالجة نموذج تطبيقي لقصائد نزار قباني، قصيدة جميلة بوحيرد التي مثلت المرأة والوطن في آن واحد. وفي الخاتمة كان استخلاص لأهم النقاط التي اشتغل عليها البحث.

أما الدوافع التي أدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع الذي كان بدافع ذاتي تمثل في الولوع بقراءة الأشعار المعاصرة خاصة ما تعلق بالشاعر نزار قباني، أما السبب الثاني فهو موضوعي يتعلق بقيمة أشعار نزار قباني التي تستحق البحث والدراسة نظرا لقيمتها الفنية وتشكيلها الفريد.

وقد اتكأت هذه الدراسات على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- نبيل خالد أبو علي، نزار قباني شاعر المرأة والسياسة.
- أحمد زياد، نزار قباني عاشق المرأة.
- محفوظ كحزال، أروع قصائد نزار قباني في الحب والوطن والسياسة.
- نزار قباني، تزوجتك أيتها الحرية.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا تمثلت في قلة المصادر والمراجع بالإضافة إلى قلة الدراسات السابقة في هذا المجال ولا يسعنا في الأخير إلا أن نقدم الشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي كان سندا في هذا البحث ومد لنا يد العون ووجهنا منذ البداية، وفي الأخير لاندعي الإحاطة بموضوع بحكم تيقننا من القصور في ذلك، فإن وفقنا فبفضل الله و إن أخطئنا فحسبنا أننا إشتهدنا لإخراج هذا العمل في أفضل صورة و الله من وراء القصد.

الفصل الأول

ثنائية المرأة و الوطن في الشعر المعاصر

نبذة عن حياة نزار قباني:

مولده ونشأته:

ولد نزار قباني في 21 مارس عام 1923 مئذنة الشحم بدمشق، لأسرة ميسورة الحال، كان أبوه توفيق القباني صاحب محل لصناعة الحلويات وقد شارك في مقاومة الانتداب الفرنسي على بلاده وكان نزار الثاني بين أربعة صبيان وبنيتين " معترز، رشيد، صباح، هيفاء ووصال"¹. تلقى دراسة الابتدائية والثانوية في الكلية العلمية الوطنية بدمشق التي كانت تتبع نهجا حديثا في التدريس تجمع فيه الثقافتين: العربية التراثية والأوروبية الحديثة ثم التحق بكلية الحقوق في الجامعة السورية وعمل فور تخرجه عام 1945 في السلك الدبلوماسي، والتحق بأول بعثة سياسية للقاهرة وقبل أن يتركها عام 1948 أصدر ديوانه الثاني " طفولة نهد " ثم انتقل إلى تركيا وفي العام 1952 انتقل إلى لندن وهناك أتقن الإنجليزية حيث بقي سفيراً لسوريا في لندن حتى العام 1955..... وإجمالاً فقد أتاح له عمله في السلك السياسي رؤية أوروباً كلها تقريباً: فرنسا، ألمانيا، إسبانيا، السويد والدايمرك... وإتقان الفرنسية والإسبانية إلى جانب الإنجليزية، والإطلاع على ثقافة تلك البلدان وحضارتها وأدبها. استقال من عمله بوزارة الخارجية عام 1966 وأسس دار النشر في بيروت، وقد برر نزار استقالته من وزارة الخارجية يقول: " لأتفرغ نهائياً للشعر لأنني كنت أشعر بازدواجية مرعبة بداخلي تمنعني من ممارسة حريتي بشكل مطلق، لذلك تفرغت للشعر وحده"².

تزوج أول مرة عام 1946 من المواطنة السورية زهرة أقييق وأنجبا هدياء وتوفيق، وقد توفي توفيق عن سبعة عشر

عاماً أثناء إجراء عملية جراحية في القلب في لندن، أما هدياء فهي متزوجة ومقيمة في الخليج. وبعد فشله في

¹ - شاعر النابلسي، الضوء واللغة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، الطبعة الأولى، ص 96.

² ماهر حسين فهمي، نزار قباني وعمر بن ربيعة، دراسة في فن الموازنة، طبعة، دار نفضة مصر للنشر والتوزيع، د، ط1971 ص45.

زواجه الأول تزوج عام 1980 من سيدة عراقية " بلقيس الراوي " وأنجب منها عمر وزينب وقد توفيت بلقيس في حادث انفجار السفارة العراقية في بيروت عام 1981 خلال الحرب الأهلية اللبنانية

قد تحدث نزار قباني عن ظروف نشأته وعن والده توفيق القباني برضا واعتزاز حيث قال: " شارك والدي مشاركة فعالة بوقته وماله في أعمال المقومة ضد الانتداب الفرنسي على سورية، وكانت دارنا في الثلاثينات مركزا يمارس فيه السياسيون السوريون نشاطهم الثوري ويعقدون اجتماعاتهم ويرسمون خطط المقاومة، ويخطبون في الناس للنضال وكانت طفولتي الأول في هذا المناخ الثوري بيتنا كان من البيوت الدمشقية الوارقة الخضرة، الدافقة الماء، وعلى هذا السرير الأخضر المغزول برائحة الورد الدمشقي وغناء العصفير نطقت كلماتي الأولى"¹

أما أمه فيأتي ذكرها لها حينما يتحدث عن طفولته المدللة، حيث يقول: "أما أمي فكانت ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب كانت تعتبرني ولدها المفضل وتخصني دون سائر أخوتي بالطيبات، وتلي مطالي الطفولية بلا شكوى ولا تدمر"² أما في ثنايا الحديث عن والده كقوله: "لم يكن أبي متدينا بالمعنى الكلاسيكي للكلمة كان يصوم خوفا من أمي، ويصلي الجمعة في مسجد الحي - في بعض المناسبات - خوفا على سمعته الشعبية" وكذلك في معرض المفاضلة بينها وبين أبيه كقوله: بين تفكير أبي الثائر وتفكير أمي السفلي، نشأت أنا على أرض من النار والماء، كانت أمي ماءً وأبي ناراً، وكنت بطبيعة تركيبي أفضل نار أبي على أمي ...

ولعل ميل نزار إلى أبيه وتفضيله إياه على أمه منوط بالصفات المشتركة التي تجمع بينهما، سواء الجسمية أو النفسية والسلوكية، فعلى الصعيد الجسماني فإن نزار يشبه أبيه، بالإضافة إلى شبهي الكبير له بالملامح الخارجية، فقد كان شبهي له بالملامح النفسية أكبر وإذا كان كل طفل يبحث خلال مرحلة طفولته عن فارس نموذج وبطل " فقد كان أبي فارسي وبطلي.... " وعلى الصعيد النفسي والسلوكي فإن نزار يزدري التدين ويستهجن ممارسات أمه وطقوسها

¹ نزار قباني، منشورات نزار قباني، قصتي مع الشعر، بيروت، د، ط، 1982، ص 73.

² نفسه، ص 73.

التعبدية، من ذلك ما نراه في مثل قوله: " أما على الصعيد الفكري فلم يكن بيني وبين أمي نقاط التقاء. فلقد كانت مشغولة في عبادتها، صومها، وسجاداتها، تسعى إلى المقابر في المواسم، وتقدم النذور للأولياء وتطبخ الحبوب في عاشوراء وتتمنع عن زيارة المرضى يوم الأربعاء وعن الغسيل يوم الاثنين..."

وفي المقابل يتحدث بأريحية منطقة النظر عما ورث من صفات أسرة أبيه بشكل عام وعن أبيه بشكل خاص ومن ذلك قوله: " ... في الحادية عشرة من عمرنا أصبح عاشقين، وفي الثانية عشر نسأم ... وفي الثالثة عشرة نعشق من جديد...ومن الرابعة عشر نسأم في العشق. جدي كان هكذا...وأبي كان هكذا ... كلنا نعاني من هذه الحساسية المفرطة أمام أشياء الجمال... كان أبي أذمر به قوام امرأة فارغة ينتفض كالعصفور وينكر كلوح الزجاج..." ومن ذلك أيضا ما نراه في تبرير انتحار أخته وصال التي كان بسبب انتحارها رفضه تزويجها بعشيقها. يقول " أنا من أسرة تمتن سببها العشق... الشهيدة هي أختي الكبرى هي وصال، قتلت بكل بساطة وشاعرية متقطعة النظر لأنها لم تستطع أن تتزوج حبيبها... صورة أختي وهي تموت من أجل الحب محفورة في لحمي..."¹

إن الذي يتأمل أقوال نزار قباني هذه يدرك منذ الوهلة الأولى أنه واقع تحت ظرف نفسي أدخله تحت أسلوب التداعي الحر (free –association) دون أن يشعر ودون الحاجة إلى معالج كما هو معروف في العلاج النفسي، هذا الأسلوب الذي يعرفه علماء النفس بقولهم: " هو إطلاق العنان لأفكار المريض، وخواطره واتجاهاته وصراعاته ورغباته وإحساساته تداعي وتسترسل حرة مترابطة تلقائيا..."

ويهدف التداعي الحر إلى الكشف عن المواد المكبوتة في اللاشعور (unconsciousness) واستدراجها إلى حيز الشعور (conscious) وفي التداعي الحر يكون المعالج يقظ الملاحظة، انفعالات المريض وحركاته العصبية

¹ نفسه، ص70-71

ولما يتورط فيه من فلتات اللسان، كلمات الحق التي ترد على اللسان يدون قصد أثناء الكلام ومثلها زلات القلم....." ¹

من أعمال نزار قباني:

| الأعمال الشعرية | الأعمال النثرية |
|--|---|
| - قالت لي السمراء، دمشق 1944 | - قصتي مع الشعر، بيروت 1970 |
| - طفولة نهد، القاهرة 1948 | - عن شعر الجنس والثورة، بيروت 1971 |
| - ساميا، القاهرة 1949 | - المرأة في شعري وحياتي، بيروت 1975 |
| - أنت لي، القاهرة 1950 | - ما هو الشعر، بيروت 1981 |
| - قصائد، بيروت 1956 | - العصافير لا تطلب تأشيرة الدخول إلى بيروت 1983 |
| - حبيبي، بيروت 1961 | - جمهور جنو شان، بيروت 1988 |
| - الرسم بالكلمات، بيروت 1966 | - لعبت بإتقان وهاهي مفاتيحي، بيروت 1990 |
| - يوميات امرأة لا مبالية، بيروت 1968 | - بيروت حرية لا تشيخ، بيروت 1992 |
| - قصائد متوحشة، بيروت 1970 | - إضاءات بيروت 1998 |
| - كتاب الحب، بيروت 1970 | - دمشق نزار قباني، بيروت 1999 |
| - فتح بيروت، 1970 | - الكلمات لا تعرف الغضب، 1993 |
| - أشعار خارجية على القانون، بيروت 1972 | |

¹ حامد زمران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية 1971، ص 204-205.

| | |
|--|--------------------------------------|
| - قصائد مغضوب عليها، بيروت 1986 | - الأعمال السياسية، بيروت 1977 |
| - تزوجتك أيتها الحرية، بيروت 1988 | - أحبك أحبك والبقية تأتي، بيروت 1978 |
| - الأوراق السرية لعاشق قرمطي، 1989 | - هكذا أكتب تاريخ النساء، بيروت 1981 |
| - أنا رجل واحد وأنت قبيلة من نساء، بيروت | - قاموس العاشقين، بيروت 1981 |
| 1993 | - الشعر قنديل أخضر، بيروت 1963 |
| - خمسون عاما في مديح النساء، بيروت | |
| 1994 | |
| - تنويعات نزارية على مقامات العشق، بيروت | |
| 1996 | |

1 - المرأة:

لقب نزار قباني بألقاب كثيرة أهمها شاعر المرأة، شاعر الحب، فدارت جلّ قصائده حول المرأة حيث أنه عبر عنها بأجمل العبارات معتمدا في ذلك أساليب مباشرة وأخرى غير مباشرة، الصريحة، الرمزية.

2 - المرأة الأم:

يصف نزار الأم على أنها الأولى من اللواتي أحبهن، وإذا رجعنا إلى طفولة نزار نجدها طفولة واعية، جمع شتاتها في استرجاعه لذكرياتها، وهو الطفل المدلل لوالدته بحيث تعامله معاملة حميمية ترفق به وتشفق عليه، فهي السند في السراء والضراء ورفيقة الدرب الطويل، أما أمي فكانت ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب كانت تعتبرني ولدها

المفضل وتخصني دون سائر إخوتي الطالبات، ظلت ترضعني حتى سن السابعة وتطعمني بيدها حتى سن الثالثة عشر " 1

لقد ظلت أمه حاضرة في مساره الشعري والنثري والإعلامي ولاشك في أن حضورها الدائم في إشعاره وحالة الحزن التي رافقت هذا الحضور تؤكد لها حسيتها. لقد أشار نزار منذ بدايته الشعرية إلى الأم في دواوينه الأولى ثلاثة وعشرين إشارة بأشكال صريحة مضمرة، وكثيرا ما تتردد علاقات الصبا التي جمعتها بالمرأة واستحالة أن يصير الحب واقعا، فموعد الحب مستحيل، واللقاء بهذا كذلك مستحيل لأنها مجرد طيف خيال ووهم أو مجرد خيط سراب يموت دائما قبل أن يبلغ مراده²

فهناك قصيدة يرسلها من مكان عمله في وزارة الخارجية بمدريد يصف فيها ذلك الحب المميز لوالدته:

فيقول:

... وَمَ أَعْتَرُ ..

عَلَى امْرَأَةٍ تَمَشُّطُ شَعْرِي الْأَشْقَرُ

وَتَحْمِلُ فِي حَقِيبَتِهَا إِلَى عَرَائِنِ السُّكَّرِ

وَتَكْسُوْنِي إِذَا أَعْرَى

وَتَسْلُنِي إِذَا أَعْتَرُ

أَيَا أُمِّي ...

¹ تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، حبيبة، ص 236.

² نفسه، ص 236-237.

أَيَا أُمِّي ...

أَنَا الْوَلَدُ الَّذِي أَبْجُرُّ

وَلَا زِلْتُ بِخَاطِرِهِ

تَعِيْشُ عَرُوسَةَ السُّكَّرِ

فَكَيْفَ ... فَكَيْفَ يَا أُمِّي

عَدَوْتُ أَبَا

وَلَمْ أَكْبُرْ¹؟

ومن خلال هذه الأبيات الشعرية نجد الشاعر يخبر أمه أنه لم يجد من تمشط شعره الأشقر، وإذا تعثر في الطريق لم يجد من تأخذ بيده، فهو يفقد حنان وعطف أمه وهذا ما يشعره بالوحدة والاعتزاب، وكذا الحنين إلى طفولته.

ثم يقول:

فَقَدْ كَانَتْ حَيِّبَةً لِأَبِي

يُدَلِّلُهَا كَطِفْلَتِهِ

وَيَدْعُوها إِلَى فَنجَانِ فَهَوْتِهِ

وَيَسْقِيهَا ...

¹ د. غريتم نجم النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد الغربي، بيروت، د، ط، د، ت ص 49

وَيُطْعِمُهَا

وَيَعْمُرُهَا بِرَحْمَتِهِ ...

... وَمَاتَ أَبِي

وَلَا زَالَتْ تَعِيشُ تَحْلُمُ عَوْدَتِهِ

وَتَبْحَثُ عَنْهُ فِي أَرْجَاءِ غُرْفَتِهِ

وَتَسْأَلُ عَنْ عِبَائِهِ ...

وَتَسْأَلُ عَنْ جَرِيدَتِهِ...¹

يتحدث الشاعر عن سر علاقة والدته بوالده ومدى معاملته لها من حبه وعطفه عليها، وكان يعاملها كطفله

المدللة وبعد وفاته ترك لها فراغا كبيرا ومأساة.

ثم يقول:

أَتَى أَيْلُولَ يَا أُمَاهُ ...

وَجَاءَ الْحُزْنَ يَحْمِلُ لِي هَدَايَاهُ

وَيَتْرُكُ عِنْدَ نَافِذَتِي

مَدَامِعَهُ وَشَكْوَاهُ

¹ نفسه، ص 61.

أَتَى أَيْلُولٌ ... أَيْنَ دِمَشْقُ؟

أَيْنَ أَبِي وَعَيْنَاهُ¹

في هذا الشهر (أيلول) تلقى نبأ وفاة والده فهو ينقل مشاعر حزنه ومأساته لوالدته.

ثم ينقل لنا الشاعر خبر وفاة والدته فيقول:

رَحْمَةً اللَّهُ عَلَى أُمِّي ...

فَقَدْ كَانَتْ تَحْتَ الشَّامِ وَالْمَاءِ

وَزَهْرُ الْيَاسْمِينِ

ثُمَّ لَمَّا رَحَلَتْ

بَكَتِ الشَّامَ

وَاسْتَفَالَتْ بَعْدَهَا

يحاول الشاعر في هذا المقام أن يصف لنا أمه، الذي كان صيتها ذائع لدى أهل الشام بحيث يكون لها أسمى

معاني الحب والاحترام لحسن أخلاقها ومدى معاملتها لهم.

3 المرأة الحبيبة:

وُصِفَ نَزَارُ قَبَانِي بِشَاعِرِ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ، وَهُوَ شَاعِرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ بَدُونَ الْحُبِّ، فَكَانَ يَبْحَثُ عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي

تُدَاعِبُهُ وَتَحْمَلُ عَنْهُ مَتَاعِبَ الْحَيَاةِ، فِدَاعِعَ عَنِ الْحُبِّ بِكُلِّ أَشْكَالِهِ فَطَوَالَ حَيَاتِهِ كَانَ يَبْحَثُ عَنِ الْحَبِيبَةِ الَّتِي تَتَفَهَمُهُ

¹ نفسه، ص 61

وقد عانى الكثير في البحث عن الحبيبة التي رسمها في خياله أنه كتب قصائد تظهر من خلالها مأساة ومن ذلك قصيدة من ديوان " الرسم بالكلمات " حيث وصف مأساته الوجدانية في قوله:

لَوْ تُدْرِكِينَ مَرَاةَ الْمَأْسَاةِ

وَأَيْ كَمِصْبَاخِ الطَّرِيقِ... صَدِيقَتِي

أَبْكِي... وَلَا أَحَدَ يَرَى دُمْعَاتِي

الْجِنْسُ كَانَ مَسْكَنًا جُرْتَبَةً

لَمْ يَنْهَ أَحْزَابِي وَلَا أَرْمَاتِي

وَالْحُبُّ أَصْبَحَ كُلُّهُ مُتَشَابِهًا

كَتَشَابُهِي الْأَوْرَاقُ فِي الْعَابَاتِ¹

فمن خلال كلماته نستنتج أنه جرب أكثر من علاقة ولم تنجح وظل في حزن ومأساة.

يقول الكاتب مُجَّد رضوان في "شهريار هذا الزمن" أرى أن نزار قباني في رحلته الطويلة مع المرأة والجنس على مدى نصف قرن من الزمان منذ ديوانه الأول "قالت لي السمراء حتى دواوينه الأخيرة" "أنا رجل واحد" "خمسون عاما في مديح النساء" كتنويعات نزارية على مقام العشق، كان يبحث عن المرأة المستحيلة التي تملأ خواء روحه وتسعد قلبه وتفعم كيانه بالحب والبهجة والأمل... كان مزار قلبا عاشقا يبحث عن تلك العاطفة الدافئة التي حلم بها طويلا... ويبحث عنها في وجوه كل النساء اللاتي عرفهن في مختلف البقاء والأصقاع ولكنه لم يجدها... وكأنه كان يلهث وراء سراب خادع... حطمه في النهاية وهنا تذكر نزار قباني مأساة الملك شهريار الذي كان يتزوج كل

¹ مُجَّد رضوان، نزار قباني شهريار هذا الزمن، دار الكتاب العربي، دمشق، د ط، د، ت، ص 98 .

يوم امرأة ثم يقتلها حتى تزوج بشهرزاد التي أخذت تروي له الليالي الساحرة المليئة بالأحداث والوقائع فأنسته مأساته وملله وغضبه وجنونه لأنه وجد في شهرزاد النجوى والسلوى والحب الحقيقي ... وليس في حكايات ألف ليلة وليلة.¹

عندما تذكر نزار مأساة الملك شهريار تذكر مأساة روحه الهائلة في بيداء الوجود بحثا عن الحب المستحيل فأثار ذلك أشجانه ودموع قلبه، فيقول:

لَا أَحَدَ يَفْهَمُنِي ...

لَا أَحَدَ يَفْهَمُ مَا مَأْسَاةُ شَهْرِيَاذَ

حِينَ يَصِيرُ لِلْجِنْسِ فِي حَيَاتِنَا

نَوْعًا مِنَ الْفَرَاذِ ...

مُخَدِّرًا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

ضَرْبَةً تَدْفَعُهَا

بِغَيْرِ مَا اخْتِيَاذَ

حِينَ يَصِيرَ نَهْدُكَ الْمَعْجَمُونَ بِالْبَهَارِ

مُفْصَلَتِي ... وَصَخْرَةُ انْتِحَارِي ...

صَدِيقَتِي ... مَلَلْتُ مِنْ تِجَارَةِ الْجَوَارِي

¹ نفسه , ص ص 110,111.

فِي جَحْرِ الْحُبِّ بَعِيرٍ فُلُوعٍ

وَمُحِبِّ مَلَائِينَ الْمَرَاتِ

وَتَرْجِعُ... كَالْمَلِكِ الْمُخْلُوعِ¹

ثم يجب مرة أخرى وأيضاً لم يجد إلا السراب الخادع:

لَمْ يَخْدُثْ أَبَدًا... أَنْ أَحْبَبْتُ بِهَذَا الْعُمُقِ

لَمْ يَخْدُثْ... لَمْ يَخْدُثْ أَبَدًا...

أَبْنِي سَافَرْتُ مَعَ امْرَأَةٍ

لِبِلَادِ الشُّوقِ

وَضَرَبَتْ لِشَوَاطِئِ عَيْنِهَا

كَالرَّعْدِ الْغَاضِبِ أَوْ كَالْبَرْقِ

فَأَنَا فِي الْمَاضِي لَمْ أَعْشَقُ

بَلْ كُنْتُ أُمْتِلُ دَوْرَ الْعَاشِقِ

لَمْ يَخْدُثْ أَبَدًا

أَنَّ أَوْصَلَنِي حُبُّ امْرَأَةٍ حَتَّى الشَّنْقِ

¹ - المرجع نفسه ، ص 15.

لَمْ أَعْرِفْ قَبْلَكَ وَاحِدَةً

عَلَبْتَنِي... أَحَدْتُ أَسْلِحَتِي

هَزَمْتَنِي دَاخِلِي مَمْلَكَتِي

نَزَعْتُ عَنْ وَجْهِهِ أَفْنَعِي

لَمْ يَخْذُثْ أَبَدًا سَيِّدِي

أَنْ ذُقْتُ النَّارَ... ذُقْتُ الْحَرْقَ¹

ثم يخاطب تلك المرأة بكل ثقة بأنها لم تجد مثيلا له في صدق حبه:

كُوْنِي وَاثِقَةً... سَيِّدَتِي

سَيُحِبُّكَ آلاَفَ غَيْرِي

وَتَسْتَلِمِينَ بَرِيدَ الشُّوقِ

لَكِنَّكَ لَنْ تَجِدِي بَعْدِي

رَجُلًا يَهْوَاكَ بِهَذَا الصِّدْقِ

لَنْ تَجِدِي أَبَدًا

لَا فِي الْعَرَبِ... وَلَا فِي الشَّرْقِ

¹ - مُجَدِّ رِضْوَانِ، الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ، ص 116.

- وبدأ يتساءل متى سألاقي المرأة التي سوف أحبها

- من هي التي ستكسريني عشرة ملايين قطعة؟

فِي أَيِّ مَقْهَى

مَاذَا تَلْبَسُ

كَيْفَ تُفَكِّرُ

أَسْئَلُهُ لَا تُطْرَحُ؟¹

وفي موضوع آخر قال الثبات والتحرك في الحب فعرفه:

الحب العظيم ضد الثبات و التحجر

إنه موجة ترفعنا إلى سابع سماء وترميننا إلى سابع أرض إنه بحر لا سواحل معروفة له ...

وهنا نلاحظ تفنن نزار وعدم استلامه وأنه لا يستطيع أن يعيش بدون حب وبدون غزل بالنساء وأمن بأن الحب

عبارة عن موجات في تحرك وثبات فنسأل محبوبته في جل القصائد عن حبها له فقال قصيدة قولي أحبك:

قُولِي أَحِبُّكَ كَيْ تَزِيدَ وَسَامَتِي

فَبِعَيْرِ حُبِّكَ لَا أَكُونُ جَمِيلاً

¹ - نفسه, ص, 118

4 المرأة الجسد:

عُد نزار قباني شاعر المرأة بامتياز عيادت عبارات أخرى هذه العبارة لتدل على هذا الموضوع الشعري فاعتبر شاعر غزل و شاعر الحب وشاعر الحس وإذا كان الدرس النقدي لا ينفي اعتبار شعره غزلا في زاوية من الزوايا فإن الغالب أنه شاعر المرأة أساسا لأن التجربة تجاوزت خصائص الغزل إذا لم يستطع أحد من الشعراء الاسترسال عبر السنين في الحديث على لسان المرأة نفسها وعن حبها وهمومها كما استطاع نزار.

ويبدو أن سواه من الشعراء لم يحققوا أميزته المتمثلة في تنوع القول في موضوع المرأة وتعدد طرق التعبير عنه، فشعر نزار قباني لا يخلو من البعد الفكري تجلوه نقطة ارتكاز عي موضوع المرأة، تطرح من خلال قضايا الحرية المساواة. قد اتفق الكثير من النقاد على اعتبار أن شعر المرأة عند نزار مر بمرحلتين الأولى والثانية¹

أَنَا مَا تَوَزَّطْتُ يَوْمًا لِمَدْحِ ذُكُورِ الْقَبِيلَةِ

وَلَسْتُ أُدِينُ لَهُمْ بِالْوَلَاءِ

وَلَكِنِّي شَاعِرٌ

قَدْ تَفَرَّغَ حَمْسِيْنَ عَامًا لِمَدْحِ النِّسَاءِ

وما يمكن ملاحظته هنا أن نزار قباني لم تكن المرأة في نظره مجرد جسد يتغزل به، و إنما كانت له ووطنا يسكن إليه ويتدفأ في مرابعه ويعيش فيه طفولته ومراهقته وشبابه وكهولته.

¹ جبرا إبراهيم جبرا، النار والجوهر، دراسات في الشعر، المؤسسة العربية للدراسات أو النشر، ط3 سنة 1982، ص 119-

قال نزار قباني " لا أعرف لماذا اخترت المرأة والغزل موضوعاً أساسياً لفني، هناك أنواع من الضغوط الداخلية لا تعرف تفسيراً لها"¹

فقد فاق اهتمام نزار قباني بالمرأة جميع شعراء عصره، واختلفت طريقته في ترجمة هذا الاهتمام عن غيره من الشعراء حتى بدت مستهجنة غير مألوفة في كثير من الأحيان² ولعل تفرغ نزار قباني لشعر الغزل الصريح وولعه بوصف المرأة ومفاتيح جسدها وأدوات زينتها حقبة طويلة من حياته في وقت كان يفترض فيه أن يخالط هموم السياسة وشجون الوطن شعره الغزلي، هو الذي حفزنا عب البحث في ظروف نشأته والعوامل المفترض تأثيرها في تكوين شخصيته وهويته الفنية... وقد تبين لنا فيما سبق أن هناك العديد من العوامل التي تصلح منفردة ومجمعة لتبرير اهتمام نزار بالمرأة وإمالة اللثام عن أسباب اتجاهه هذا المذهب في الغزل فهو يقول في قصيدته رافعة النهدي من ديوانه قالت لي السمراء:

تَرَلَقُ فَوْقَ رُبُوبِي لَدَّةٌ نَاعِمَةٌ دَارَتْ عَلَيَّ نَاعِمٌ

خُمْرِيَّةٌ كَلَوْنَ عَاطِفِي وَاهِمَةٌ مِثْلَ عَدِي الْوَاهِمِ

تَنْشَقُّ مِنْ مَرْزَعَتِي رَتْبُقٌ زَرَرْنَا .. لِلْمَوْسِمِ الْقَادِمِ

تَوُّوهُنَمَا .. تَحْمِيهَا مِنْ أَدَى مِنْ الْهَوَى... مِنْ الشَّتَا الْهَاجِمِ

وَتَعْرَلُ الْعَزْلُ يُدْفِي كَيْ يَهْنَأَ فِي الْمَحْبَبِ الْحَالِمِ

وَتَطْعَمُ الْإِثْنَيْنِ.. مِنْ قَلْبِهَا مِنْ حَمِيمَا ... مِنْ حَيْطِهَا الْفَاعِمِ

¹ نبيل خالد أبو علي، نزار قباني شاعر المرأة والسياسة، مكتبة مدبولي، د ط 1999، ص 6.

² مُجَدِّ رِضْوَانِ، الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ، ص 119.

تَدَاعَبُ الْوَاحِدَ..أَمَاضِحًا وَتُسْتَدَلُّ السُّرَّ عَلَى النَّائِمِ

رَافِعُهُ النَّهْدَ.. أَحْبَطَنِي بِهِ كُونِي لَهُ أُخِي مِنْ الْخَانِمِ

قَدْ يَجْرُحُ الدَنْبِيلَ إِحْسَاسُهُ فَحَفَفِي مِنْ قَيْدِكَ الظَّالِمِ

هَذَا الَّذِي بَالَعْتَ فِي ضَمِّهِ أَمَّنَ مَا أَخْرَجَ لِلْعَالَمِ¹

ويقول في قصيدته " يد " من ديوانه " حبيبي "

يَدَاكِ الَّتِي حُطَّتْ عَلَى كَتِفِي

كَحَمَامَةٍ ... نَزَلَتْ لِكَيْ تَشْرُبَ

عِنْدِي تُسَاوِي أَلْفَ مَمْلَكَةٍ

يَا لَيْتَهَا تَبْقَى وَلَا تَذْهَبَ

فالشاعر يغوص بخيله الواسع، حيث شبه اليد بالحمامة ثم أنه يساوي بكل ممالك الدنيا.

ويقول:

وهو يصف المرأة صاحبة العينين الزيتين:

رَيْبِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ ... لَا تَعْلِقِي

يَسْلَمُ هَذَا الشَّقُّقُ الْمُسْتَقِي

¹ أحمد زياد، نزار قباني عاشق المرأة، مركز الياية للنشر والإعلام، ط3، 200، ص38.

رَحَلْتَنَا فِي نِصْفِ فَيْرُوزَةٍ

أَعْرَثَ الدُّنْيَا وَمَ تَعْرِفُ

ما يمكن ملاحظته هنا هو أن الشاعر يركز في جميع أعضاء المرأة ولم يترك شيئاً فيها فهو هنا يتمنى أن لا تغلق

عينها ليتغزل بها، بالإضافة إلى أنه وصف الفم والأصابع والأظافر ... وغيره.

كما يتحدث في قصيدة أخرى عن الكاسيات العاريات من النساء يمثل قوله:

بَارَزَاتُ التُّهُودِ حُمُرُ الحُدُودِ

عَارِيَاتُ الصُّدُورِ مَمَرُ القُدُودِ

يَتَخَطَّرْنَ فِي السَّنَوَارِغِ تَيْهًا

لِجَلِي مِنْ أَسَاوِرِ وَعُقُودِ

وَبُرُودِ شَقَافَةِ مِنْ حَرِيرِ

شَقَّ عَمَّا احْتَلَفَ وَرَاءَ البُرُودِ

سِرْنَ يُرْسَلْنَ أَسْهُمَا مِنْ عِيُونِ

فَاتِنَاتِ مَا بَيْنَ رُزْقِ وَسُودِ

يَتَلَفَّنُ تَارَةً بِأَزْدِرَاءِ

وَيُقَهِّقْنَ تَارَةً كَالْوَلِيدِ

غَائِبَاتِ الأَعْرَابِ مَهَلًا فَإِنَّا

فِي احْتِيَاخٍ إِلَى الصَّلَاحِ شَدِيدٍ

يتضح من خلال هذه الأبيات الشعرية أن الشاعر يريد تحرير المرأة من قيود القيم والأخلاق واحترامها لذاتها، يريد لها أن تنطلق خلق شهواتها لتصبح جارية تحت أقدام الرجال لكي يفصل بعد ذلك من جلد النساء عباءة كيفما يشاء.

5 المرأة الوطن

الظاهر من خلال علاقة المرأة بالوطن أن كلاهما في معتقل سجن، فجسد المرأة في معتقل وسجانه الرجل الذي بيده كل شيء فمن حقه أن يعلمها أولاً، أن يتزوجها أو يطلقها، ومن حقه أن يطلب منها الكلام أو الصمت فكل حقوقها بيده فهو الأمر النهائي في جميع شؤون حياتها وما على المرأة إلا أن تطيعه في كل ما يريد منها وما يعطيه الحق في ذلك فهو كونه الرجل الذي يأتي في المرتبة الأولى حسب ترتيب الهرم الاجتماعي، وجسد للوطن هو أيضاً سجين فهو من محتل إلى آخر ومن سجان إلى آخر فالجميع يطمعون بالوطن ويريدون السيطرة عليه وضع الحرية فيه وقضية عند نزار هي المرأة فكلاهما بحاجة إلى التحرير من العبودية فيقول للمرأة

تُورِي على شرق السبايا، والتكايا ... والبحور¹

وقال في قصيدته الشهيرة (متى يعلنون وفاة العرب) عن الوطن الأسير:

أُحَاوِلُ رَسْمَ الْبِلَادِ ...

هَآ بِرَلْمَانُ مِنَ الْيَاسْمِينِ

وَشَعْبُ رَفِيقُ مِنَ الْيَاسْمِينِ

¹ زياد أحمد، نزار قباني شاعر المرأة و السياسة، دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع، ط1، سنة 1966، ص.16

وَتَنَاْمِرُ حَمَائِمَهَا فَوْقَ رَاسِي

وَتَبْكِي مَا دُنُّهَا فِي عَيْوِي¹

و هكذا يبين نزار قباني مدى وجه الشبه بين المرأة والوطن وكلاهما يقع في الأسر فلا بد من تحريرهما.

6 المرأة الثورة:

عاش نزار قباني في جو أسري ثوري لذلك هو من الأوائل الذين حثوا المرأة على الثورة، أرادها أن تكون امرأة ثائرة على كل الأوضاع، وأرادها أن تكون امرأة مناضلة ومستقلة بأحاسيسها ومشاعرها، حرة في رأيها.

فيقول في تحريض المرأة على واقعها في المجتمع العربي:

تُورِي أُحْبِكُ أَنْ تَتُّورِي

تُورِي عَلَى شَرْقِ السَّبَايَا وَالتَّكَايَا وَالبُحُور

تُورِي عَلَى التَّارِيخِ وَانْتَصِرِي عَلَى الوَهْمِ الكَبِيرِ

لَا تَرْهَبِي أَحَدًا فَإِنَّ الشَّمْسَ مَقْبَرَةُ السُّور

تُورِي عَلَى شَرْقِ يِرَاكِ وَوَيْمَةِ فَوْقَ السَّرِيرِ²

¹ نزار قباني الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثاني، ص 140.

² نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثالث، ص 408.

يبدو أن الشاعر هنا معني بتحرير المرأة عن السيطرة وقيود المجتمع وهيمنة الرجل، لا يريد لها مفيدة بأغلال الحي والجنس، لا يريد لها أن تكون جارية تباع وتشتري بالمال يريد لها أن تعرف ما تريد أن تعلن الثورة على سلطة الرجل وتسلطه عليها.

فقد كان نزار ضمير الأمة العربية الحي وتابع الأحداث العربية، وجند قلمه في سبيل القضية فجعل قلمه سلاحا يرفعه في وجه الظلم و الظالمين كما كانت قصائده تزرع الأمل في النفوس.

يقول

جَاءَتْ إِلَيْنَا فَتْحُ

كَوْزِدَةٌ جَمِيلَةٌ مِنْ جُرْحٍ ...

كَنْبَعِ مَاءٍ بَارِدٍ يَرْوِي صَحَارِيَّ مِلْحٍ

مَهْمَا هُمْ تَأَخَّرُوا ... فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ

مِنْ دَرْبِ رَامٍ اللَّهِ أَوْ مِنْ جَبَلِ الرِّيْثُونَ

يَأْتُونَ مِثْلَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى... مِنْ السَّمَاءِ¹

فلقد بعث ميلاد حركة وفتح الأمل في نفس نزار، فهو يساند الشعب الفلسطيني حتى وإن كان عن طريق الشعر.

ويقول في ثورة الدجاج:

نَحْنُ دَجَاجُ القَيْصَرِ ...

¹ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، ط2، 1982، ص141

نَأْكُلُ قَمْحَ الْخَوْفِ

وَنَشْرَبُ مِنْ أَمْطَارِ الْمِلْحِ

كُلُّ نَهَارٍ...

يَأْتِينَا الْبُولِيسُ قُبَيْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ...¹

تتمثل معاناة الشعب الفلسطيني في الفقر والجوع بحيث يأكلون القمح ويشربون مياه الأمطار المالحة، فكل صباح يقتحمون بيوتهم.

فلاحظ أن الشاعر نزار قباني معظم الأوطان العربية وكتب عنها بصدر رحب، عاشقا، محترفا طريق الهوى.

ويقول:

تَسْعُونَ مَلِيُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ

حَلَقَ الْأَفُقَ عَاصِبُونَ

يَا وَيْلَهُمْ مِنْ تَأْرِهِمْ²

فهو يهدد رغم سيطرة العدو ورغم أن فلسطين لا تمتلك إلا الحجر لتدافع به ومع ذلك، فإن نزار عزيمته قويه

بفضل كلماته القوية التي فيها نوع من المبالغة، فهو يعطي أمل

ويقول:

¹ نزار قباني، تزوجتك أيها الحرية، منشورات نزار، ط2، 1990، ص35.

² نفسه، ص38.

تَزَوَّجْتِكِ أَيْتُهَا الحُرِّيَّةُ

كَانَ لَدَيَّ بِبِلَاطُ نِسَاءِ

فِيهِ جَمِيْلَاتُ الدُّنْيَا

فَالعَرَبِيَّةُ

وَالرُّومِيَّةُ

وَالتُّرْكِيَّةُ

وَالكُرْدِيَّةُ

كان بقصري لعب صنعتُ في بارسن

وجيش من قطط شامية...¹

نلاحظ أن نزار قباني يدافع عن الحرية ويفتخر بها، بالرغم من أنه عرف نساء مختلفات الأجناس، إلا أنه متمسك بالحرية.

7 - السياسة:

نزار شاعر الحب والسياسة فشعر الحب جواز سفره إلى الناس ويرافقه جواز سفر آخر يحمل شهر السياسة.

¹ نفسه، ص 38.

فلاحظ تناقضات نزار بين نزار الشاعر (شاعر المرأة، شاعر السياسة) المعتز بوطنه وافتخاره بنشأته في بيت يقود المقاومة منذ الانتداب الفرنسي على سوريا حيث أنه درس الحقوق وعمل في السلك الدبلوماسي ومن أسباب كتابة القصيدة السياسية وتحوله للاهتمام بشؤون السياسة وهموم الوطن وربط ذلك بنكسة حزيران.

أُلغِي لَكُمْ يَا أَصْدِقَائِي، اللُّغَةَ الْقَدِيمَةَ

وَالكُتُبَ الْقَدِيمَةَ

أُلغِي لَكُمْ

كَلَامَنَا الْمَثُوبَ كَالْأَحْذِيَةِ الْقَدِيمَةَ

وَمُفْرَدَاتِ الْعَهْرِ، وَالْهَجَاءِ، وَالشَّتِيمَةَ

أُلغِي لَكُمْ ...

أُلغِي لَكُمْ ...

بنهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة¹

إنها هزيمة عام 1967 التي أوقدت مراحل الثورة في نفس نزار وشعره لقد انفجر الشعر السياسي على لسان نزار تؤكد وطنية نزار المحبوة وصدق غيرته على الأمة العربية ومقدراتها.

وفي مقدمة شعره للقراء يقول في قصيدته بعنوان " ورقة إلى القارئ"

أَنَا لِبَلَادِي ... لِنَجْمَاتِهَا

¹ نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 739.

لِعَيْمَاتِهَآ ... لِلشَّدَا ... لِلنَدَى

سَفَحَتْ قَوَارِيرَ لَوْنِي نُحُورَا

عَلَى وَطْنِي الْأَخْضَرَ الْمَفْتَدَى¹

يظهر لنا افتخار نزار قباني لبلاده وتمسكه وفدائه له، فهو ذو شخصية، غير على وطنه، مدافعا عنه.

أما ديوانه الثاني طفولة نهد الذي فرغ نزار من تحبيره وكتابة مقدمته بعد تحرر سوريا بعام واحد، وبعد تخرج نزار

من كلية الحقوق والتحاقه بالعمل السياسي بعامين فقد اشتمل 37 قصيدة في حين ديوانه الأول" قالت لي

السمراء" ضم 28 قصيدة، أطلق على إحداهن في الديوان الثاني اسم "بلادي" تحدث فيها عن خيرات بلاده

مفتخرا بما تنعم به من أمن وأمان:

جِبَالَنَا ... مَرَّوْحَةَ

لِلشَّرْقِ ... عَرَقِي، لَيْنِهِ

تَوَزَّعَ الحَيَّرَ عَلَى الدُّنْيَا

دَارَنَا المِحْسَنَةَ

يَطِيبُ لِلْعُصْفُورِ ... أَنْ

يُنْبِي لِدُنْيَا مَسْكَنَهُ

وَيَعْزِلُ الصَّفْصَافُ

¹ - نزار قباني ، قالت لي السمراء ، منشورات نزار الطبعة 01 بيروت ، 1989 ، ص 8.

فِي حَضْنِ السَّوَاقِي مَوَاطِنَه

حَدَّوَدْنَا ... بِالْيَاسِمِينَ

وَالنَّدَى ... مُحْصَنَةً ...

وَوَرَدْنَا مِفْتَحَ

كَالْفِكْرِ الْمَلُوءَةِ ...¹

وقد اعتبرها النقاد من القصائد التي انتزعت من رحم القصائد الغزلية لما فيها من مفردات مأخوذة من معجمه الشعري الغزلي مثل: الياسمين، الندى، الورد... أما مضمونها فلا يترجم أي موقف سياسي وطني وهو ما جعل اسمه يرتبط بالغزل.

وبدأت المرحلة السياسية لنزار مع إصدار قصيدته " هوامش على دفتر النكسة" التي يطلق على هذه المرحلة النقد السياسي.

له أربعة دواوين في السياسة قصائد مغضوب عليها، تزوجتك أيتها الحرية، الكبريت في يدي ودويلاتكم من ورق، هوامش على هوامش...

تاريخنا ليس سوى إشاعة:

مِنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ؟

وَلَوْنُنَا الْمُفْضَلُ السَّوَادُ

¹ نبيل خالد أبوعلي، المرجع السابق، ص126.

نُفُوسَنَا سَوَادُ

عُقُولُنَا سَوَادُ

دَاخِلَنَا سَوَادُ

حَتَّى الْبَيَاضُ عِنْدَنَا

يَمِيلُ لِلْسَوَادِ¹

يظهر لنا تشاؤم الشاعر وحزنه على وطنه، وهو يؤكد ذلك من خلال تكراره لكلمة سواد.

ثم يقول في المقطع الثاني:

مَنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْقَرْحُ؟

وَكُلُّ مَا يَحْدُثُ فِي حَيَاتِنَا

مُسَلَّسَلِ اسْتِبْدَادِ

وَالهِجْرَةَ اسْتِبْدَادِ

الصُّحُفِ الرَّسْمِيَّةِ اسْتِبْدَادِ

وَالشُّرْطَةَ السِّرِّيَّةِ

وَالزَّوْجَةَ اسْتِبْدَادِ

¹ نزار قباني، تاريخنا ليس سوى إشاعة، منشورات نزار، بيروت، ص 39.

وَعِشْقُنَا لِامْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ جِدًّا

هُوَ اسْتِبْدَادٌ!¹

من خلال المأساة التي عاشوها من طرف المستعمر جعلته كل ما يحيط به في حياته مجرد ظلم واستبداد...

ثم في المقطع الثالث

مِنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ؟

وَكُلُّ طِفْلِ عِنْدَنَا

تَجْرِي عَلَى تِيَابِهِ دِمَاءُ كَرِيْبَلَاءٍ...

وَالْفِكْرُ فِي بِلَادِنَا أَرْخَصُ مِنْ حِدَاءِ

وَعَايَةِ الدُّنْيَا لِدُنْيَا

الحَيْنِ وَالنِّسَاءِ²

يوضح لنا ما قام به الاستعمار من قتل الأطفال وسلبوا منهم طفولتهم، واستحيوا نساءهم وشردوا مجتمعاتهم.

وفي المقطع الرابع:

مِنْ أَيْنَ يَأْتِينَا الْفَرْحُ؟

وَنَحْنُ مِنْ يَوْمِ تَخَاصَمْنَا

¹ نزار قباني، المرجع نفسه، ص 40.

² نفسه، ص 40.

عَلَى النِسْوَانِ فِي عَرْنَاطَةِ

تَفَكَّكَتْ أُمَّتَنَا

وَهَرَّ هَرَّتْ دَوْلَتْنَا

وَطَارَتْ الْبِلَادُ...

نلمس من خلال هذه الأبيات حسرة وضعف وكذا استسلام نزار لما يفعله بهم العدو فقد انحارت دولتهم وهلك وطنهم.

يقول في قصيدة منشورات فدائية:

لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا

شَعْبٌ هُنُودٍ حُمْرٍ...

فَنَحْنُ بِأَقْوَمِ هُنَا

فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي تَلِسُ فِي مَعْصِمِهَا

إِسْوَارُهُ مِنْ زَهْرٍ

فَهَذِهِ بِلَادُنَا...

فِيهَا وَجَدْنَا مِنْذُ فَجْرِ الْعُمْرِ

فِيهَا لَعِينًا، وَعَشْفُنَا، وَكَتَبْنَا الشَّعْرَ.¹

ثار نزار على الظلم والاستبداد والقهر الذي ذاقه الشعب الفلسطيني فكانت كلماته قوية وصارخة تثير الحرارة والحماسة للعرب لكي ينهضوا ويثوروا، بإرادة وعزيمة من أجل القضاء على الاستعمار.

8 المرأة الرمز:

كان الرمز عند نزار قباني أكثر وضوحاً، لاسيما في قصيدة "يا ست الدنيا يا بيروت" التي نادى بها بيروت "يا عشترار" داعياً إياها للقيام، كي تنقذ الحب والفقراء. فضلا عن إعطاء المدينة كثيرا من صفات المرأة الحسن والجمال ودفعها ضريبة هاتين الصفتين، مما يوحي بتقارب المرأة المضطهدة التي دافع عنها نزار بشعره وحاول إنقاذها من السيطرة الذكورية في المجتمعات الشرقية:

يَا سِتِّ الدُّنْيَا يَا بَيْرُوتَ...

مَنْ بَاعَ أَسْوَارَكَ الْمَشْغُولَةَ بِالْيَأْفُوتِ؟

مَنْ صَادَ خَاتَمَكَ السِّحْرِي

وَقَصَّ ضَمَّائِرَكَ الذَّهَبِيَّةَ؟

مَنْ دَبَّحَ الْفَرْحَ النَّائِمَ فِي عَيْنَيْكَ الْخَضْرَاوِينَ؟

مَنْ شَطَبَ وَجْهَكَ بِالسِّكِّينِ، وَأَلْقَى مَاءَ النَّارِ عَلَى شَفَتَيْكَ الرَّائِعَتَيْنِ؟

¹ نزار قباني، قصائد السياسية بلا ديوان، منشورات نزار قباني، د، ط، د، ت، ص 101.

مَنْ سَمَّ مَاءَ الْبَحْرِ، وَرَشَ الْحَقْدَ عَلَى الشَّطَّانِ الْوَرْدِيَّةِ؟¹

هَآ نَحْنُ أَتَيْنَا... مُعْتَذِرِينَ ... وَمُعْتَرِفِينَ

أَنَا أَطْلَقْنَا النَّارَ عَلَيْكَ بِرُوحِ قَلْبِيهِ

فَقَتَلْنَا امْرَأَةً كَانَتْ تُدْعَى (الْحُرِّيَّةُ).

عن بيروت يتحدث " نزار قباني " في هذا الديوان مقدا اعتذارا لها وأسفه لما يحدث فيها من دمار وخراب وهو في كل ذلك يعتبر نفسه مسؤولا عما أصاب هذه الأنثى الضعيفة التي لم تستطع أن تدافع عن نفسها وعن حقوقها.

9 +الأسطورة:

تعرف الأسطورة على أنها القسم الناطق من الشعراء أو الطقوس الدينية وبمعناه الواسع أي قصة مجهولة المؤلف تتحدث عن المنشأ يفسر بها المجتمع ظواهر الكون والإنسان في صورة تربوية.

وقد تدل على أنها محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له أو لأنها نتاج وليد الخيال، ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة أولية.

في قصيدة " منشورات فدائية عل جدران إسرائيل " التي وظف فيها نزار أسطورة الحلول والتناسخ، فيتجلى اشتغاله على تقنية التكرار اللفظي محددًا، من خلال تكراره لفظة " باقون " في مطلع أكثر من خمسة وعشرين سطرًا شعريًا، كقوله في أحد المقاطع "

بَاقُونَ فِيمَا رَسَمَ اللَّهُ عَلَى دَفَاتِرِ الْجِبَالِ

¹ - نزار قباني، الديوان ، تحقيق غالية مُجد حسن ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، ط1، د ت، ص 378.

بأقون في معاصر الزيت في الأنوال

بأقون في المد وفي الجزر في الشروق والزوال.

بأقون في مراكب الصيد وفي الأصداف والرمال

بأقون في فصائد الحُب وفي فصائد النضال

بأقون في الشعر وفي الأزجال

بأقون في عطر المناديل وفي الدبكة والموال...

فقد جاء تكرار لفظة باقون في هذه القصيدة ليؤكد معنى التشبث بالأرض، وعدم مغادرتها تحت أي ضغط كان، فالبقاء هو جوهر أسطورة الحلول، وتكرار لفظة البقاء هو تكريس لإرادة الحياة في مواجهة إرادة الموت والإفناء، وقد استطاع الشاعر من خلال التكرار أن يوسع دائرة الحلول، إلى موجودات لم تتطرق إليها الأسطورة الدينية الأصلية، فحلول الأرواح في الدبكة والموال وفي مروعة الخيل والخيال وفي تحية الرجال للرجال¹ ... هو تطويع الأسطورة لا نظن أن الشاعر قد سبق إليه.

¹ عبد الحلیم مخالفة، تجليات الأسطورة في شعر نزار قباني، ص 159.

الفصل الثاني

ثنائية المرأة و الوطن في أشعار نزار قباني

تحليل قصيدة جميلة بوحيرد " نموذجاً "

قصيدة جميلة بوحيرد لنزار قباني نموذجاً:

الإِسْمُ جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرِدُ

رَقْمُ الزُّنْزَانَةِ " تَسْعُونَا

فِي السِّجْنِ الْعَرَبِيِّ بِوَهْرَانُ

وَالْعُمُرُ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ

عَيْنَانِ كَفَنَدِيلِي مُعْبَدُ

وَالشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْأَسْوَدُ

كَالصَّيْفِ ...

كَشَلَالِ الْأَحْزَانِ

إِثْرِيقُ لِلْمَاءِ ... وَسَجَانُ

وَيَدُ تَنْظُمُ عَلَى الْقُرْآنِ

وَأَمْرًا فِي ضَوْءِ الصُّبْحِ

تَسْتَرْجِعُ فِي مِثْلِ الْبُوحِ

أَيَاتُ مُحْزَنَةِ الْإِرْتَانِ

مِنْ سُورَةِ "مَرْيَمَ" وَ"الْفَتْحِ"¹

الاسم جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرِد

إِسْمٌ مَكْتُوبٌ بِاللَّهَبِ...

مَعْمُوسٌ فِي جُرْحِ السَّحْبِ

فِي أَدَبِ بِلَادِي. فِي أَدْيِي...

الْعُمُرُ إِثْنَانِ وَعِشْرُونَ

فِي الصَّدْرِ اسْتَوَطَنَ زَوْجُ الْحَمَامِ

وَالشَّعْرُ الرَّاقِدُ غُصْنُ السَّلَامِ

امْرَأَةٌ مِنْ قَسَنْطِينَةَ

لَمْ تَعْرِفْ شَفَقَاتَهَا الزَّيْنَةَ

لَمْ تَدْخُلْ حُجْرَتَهَا الْأَحْلَامِ

لَمْ تَلْعَبْ أَبَدًا كَالْأَطْفَالِ

لَمْ تُعْرَمْ فِي عَقْدِ أَوْ شَالِ

لَمْ تُعْرِفْ كِنِيسَاءَ فَرَنْسَا

¹ نزار قباني، قصائد سياسية، بلا ديوان، منشورات نزار قباني، د، ط، د، د، ت، ص 34.

أَقْبِيَّةُ اللَّذَّةِ (فِي بِيغَالِ) ¹

الإِسْمُ جَمِيلَةٌ بُوْحَيْرِد

أَجْمَلُ أُعْنِيَّةٍ مِنَ الْمَغْرِبِ

أَطْوَلُ نَحْلَةٍ

لَمَحَتْهَا وَاحَاتُ الْمَغْرِبِ

أَجْمَلُ طِفْلَةٍ

أَتَعَبَتِ الشَّمْسُ وَمَ تَتَعَبُ

يَارَبِّي. هَلْ تَحْتَ الكَوْكَبِ؟

يُوجَدُ إِنْسَانٌ

يَرْضَى أَنْ يَأْكُلَ ... أَنْ يَشْرَبَ

مِنْ لَحْمِ مُجَامِدَةٍ تَصْلُبُ...

أَضْوَاءُ (البَاسْتِيَلِ) ضَعِيْلَةٍ

وَسُعَالُ امْرَأَةٍ مَسْلُوْلَةٍ ...

أَكَلْتُ مِنْ هَيْدِيهَا الْأَغْلَالِ

أَكَلِ الْأَنْدَالَ

¹ نزار قباني، المرجع السابق، ص 36

(لاكُوست) وآلافُ الأندال

مِنْ جَيْشِ فَرَنْسَا المِغْلُوبَةِ

انْتَصَرُوا الآنَ عَلَيَّ أَنْتِي

أَنْتِي ... كَالشَّمْعَةِ

القَيْدُ يُعْضُ عَلَيَّ القَدَمَيْنِ

وَسَجَائِرُ تُطْفَأُ فِي النَّهْدَيْنِ

وَدَمٌ فِي الأنْفِ ... وَفِي الشَّفَتَيْنِ

وَجِرَاحُ جَمِيلَةٍ تُوحِدُ

هِيَ وَالتَّخْرِيرُ عَلَيَّ مَوْعِدُ

مَفْصَلَةٌ تَنْصِبُ ... وَالْأَشْرَارُ

يَلْهُونَ بِأَنْتِي دُونَ إِزَارِ

وَجَمِيلَةٍ بَيْنَ بِنَادِقِهِمْ

عَصْفُورَةٌ فِي وَسَطِ الأمْطَارِ

الجَسَدُ الحُمْرِيُّ الأَسْمَرُ

تَنْفِضُهُ لَمَسَاتُ التِّيَّارِ

وَحُرُوقٍ فِي الثَّدْيِ الْأَيْسَرِ¹

فِي الْحَلْمَةِ...

فِي ... فِي ... بِاللُّعَارِ ...

الاسْمِ جَمِيلَةً بُوحَيْرِدَ

تَارِيخٍ: تَرْوِيهِ بِلَادِي

يَحْفَظُهُ بَعْدِي أَوْلَادِي

تَارِيخِ امْرَأَةٍ مِنْ وَطَنِي

جَلَدَتْ مَقْصَلَةَ الْجِلَادِ...

امْرَأَةً دَوَّخَتْ الشَّمْسَا

جَرَحَتْ أَبْعَادَ الْأَبْعَادِ...

ثَائِرَةٌ مِنْ جَيْلِ الْأَطْلَسِ

يَذْكُرُهَا اللَّيْلُكَ وَالتَّرْجَسُ

يَذْكُرُهَا ... زَهْرُ الْكَبَادِ ...

مَا أَصْغَرَ " جَانِ دَارِكِ " فَرَنْسَا

¹ نزار قباني، المرجع نفسه ، ص 37 .

فِي جَانِبِ " جَانِ دَارِكِ " بِلَادِي¹

تحليل قصيدة جميلة بوحيرد:

كان الشاعر نزار قباني ملتفتا إلى قضايا الوطن العربي إلى أبعد حد، ونلمس ذلك من خلال شعره السياسي الذي يعكس فيه مشاكل وآلام المجتمع، ومن شعره قصيدة جميلة بوحيرد التي قدم لنا من خلالها تاريخ أعظم ثورة على يدي أجمل امرأة وذلك بتصويره لنا معاناة الجزائر من الاستعمار الفرنسي موظفا:

أولا: على مستوى المضمون:

1 نزعة الحرمان والغربة: سادت في القصيدة نزعة الحرمان والغربة والحزن والأسى وكذا الكآبة والتشاؤم وذلك

نتيجة ما تعانیه بسبب الواقع المرير الذي تعيشه من طرف فرنسا ويظهر ذلك في قول نزار:

الاسم جميلة بُوْحَيْرِدُ

رَقْمُ الرِّزَاةِ " تِسْعُونَ

فِي السِّجْنِ الْعَرَبِيِّ بِوَهْرَانُ

وَالْعُمُرُ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ ...

وَسُعَالُ امْرَأَةٍ مَسْلُوءَةٍ ...

أَكَلْتُ مِنْ هَيْدِهَا الْأَغْلَالِ

أَكَلَ الْأَنْدَالَ

¹ المرجع نفسه ، ص 39 .

(لاكُوست) وآلاف الأندال...

وَسَجَائِرُ تُطْفَأُ فِي النَّهْدَيْنِ

وَدَمٌ فِي الْأَنْفِ ... وَفِي الشَّفَتَيْنِ

وَجِرَاحٌ جَمِيلَةٌ بُوحَيْرِد¹

لقد تعرضت البطلة إلى كل أشكال التعذيب فقد سجن بالسنج العري بوهرا واعتقلت وهي في السن المراهقة وفي أوج أنوثتها. فقد ضحت بحياتها الخاصة من أجل الوطن وتحريره من المستعمر العاشم، وهذه القصيدة تتحدث عن ثورة أمة وشعب على يد أشجع امرأة عربية لا تعرف التعب ولا العنف ولا الاستسلام إلى درجة أنها نسيت أنها أنثى.

2 تمجيد الحرية الإنسانية: خلقت الرومانسية تفسيراً جديداً لفكرة الحرية. فمن منظور الشاعر لم تعد الحرية

امتيازاً تفرد به فئة معينة من المجتمع بل أصبحت حقاً مكتسباً للمجتمع... فهو يعبر عن إحساسه

وشوقه للتخليق في سماء الحرية.

يقول نزار قباني:

وَجِرَاحٌ جَمِيلَةٌ بُوحَيْرِد

هِيَ وَالتَّخْرِيرِ عَلَى مَوْعِد

.....

فِي الصَّدْرِ اسْتَوْطِنَ رَوْحُ الحَمَامِ

¹ نزار قباني , المرجع نفسه، ص 39

والنغر الرّاقِدُ عُصْنُ السَّلَامِ¹

ونتيجة لما شهدته مجاهدة الأطلس من ويلات الاستعمار وقهره وبطشه وما تلقته من حرمان وجوع وفقر أثار في نفسية الشاعر قوة الإيمان بالحرية والانتصار. والأمل في الاستقلال والسلام.

3 الطبيعة: وجد نزار في الطبيعة حضا يخفف عنه آلامه ويؤنسه في وحدته، فقد كان يستلهم جمالها الحسي

والوجداني ويخلد بذلك صورا ولوحات فنية تبقى حية نابضة محتفظة بألوانها وفيض ينايعها، حيث يقول

في عباراته المستوحاة من الطبيعة

(الصيف، شلال، الماء، ضوء، السحب، حمام، الشمس، الكوكب، الأمطار، النرجس، زهر الكباد،

الليلك).

4 الرمز: يعد الرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية. فالرمز الشعري هو عبارة عن إشارة حسية

مجازية لا يقع تحت الحواس. فتوظيف الرموز يعتبر مجالا خصبا وجد فيه الشعراء التعبير عن كل ما يحول

في خواتمهم، فقد شكل الرمز حالة جمالية أو موقفا يوحى بعباء دلالي.

وظف الشاعر عدة أنواع منها ما هو مستمد من الطبيعة ومنها ما هو ديني وأخرى شخصيات تاريخية...

منها:

يرمز بالأسود إلى الحزن والأسى

يرمز بالماء إلى الحياة

يرمز بالقرآن إلى العظمة و الاطمئنان

يرمز بالحمام إلى السلام

¹ نفسه، ص39

يرمز بالنخلة إلى العطاء

يرمز بالشمس إلى الحرية

يرمز بالأمطار إلى الخصوبة

أما بالنسبة لسورة "مريم" وسورة "الفتح" فيعتبران من الرموز الدينية.

ثانيا: على مستوى الشكل:

1 صدارة العنوان: يكون العنوان في القصيدة المعاصرة مفتاحا لنص الحداثة والباب بفضله يمكن الولوج إلى

القصيدة واكتشاف المحور الذي يدور حوله، وقد يكون العنوان كلمة تظهر في الشكل رمز يحمل اسم شخصية معينة، وهذا ما نلمسه في قصيدة جميلة بوحيرد، وهذه الأخيرة جوهر القصيدة والمصباح الذي يهتدي إليه الملتقي بنوره قصد إضاءة المناطق المعتمدة في النص.

2 وحدة الموضوع: ما نقصده من وحدة الموضوع هو تلك الوحدة المتجانسة التي تربط بين أبيات القصيدة

وتسلكها في موضوع واحد. حيث يكون عنوان القصيدة دالا عليها، وتجلت وحدة الموضوع من خلال الأبيات التي نمت نمو موضوعيا من البداية إلى النهاية متتابعة ومنسجمة دون انقطاع.

3 وحدة العضوية: تقوم على تشبيه القصيدة بالجسم من حيث له أعضاء متصلة ولكل عضو موضعه

الخاص، فلا يمكن نقله إلى موضوع آخر، كما لا يمكن الاستغناء عنه وهو ما لا بد أن يتحقق نظيره في القصيدة. فلا يتقدم بيت عن موضعه أو يتأخر مثلما لا يمكن حذف شيء منها وإلا فسد أمرها كما يفسد أمر الجسم إذا خلع منه عضو ونلاحظ أن نزار لم يحافظ على الوحدة العضوية بحيث لنا جمال، حصيلة ومعاناتها. فإذا حذفنا صفة من صفاتها لم يختل المعنى ولم تسقط الأسطر.

4 -الصياغة الشعرية: استعمل الشاعر أسلوبا جميلا كان أقرب من الروح الشعرية حيث صب ألفاضه في قالب الحكاية واستعان في أحداثها بأسلوب قصصي فهي قصة تاريخية حقيقية والقصيدة تحكي لنا هذا الوضع.

5 -اللغة الشعرية: جاءت اللغة كعنصر مؤثر في أذن المتلقي بحيث غدت قريبة من المستوى العام. تسمح بإيصال الرسالة دون الإمعان في النظر ودون اللجوء إلى المعاجم.

6 -الصورة الفنية: تعتبر الصورة الفنية أو الشعرية من أهم المميزات التي يحتوي عليها النص الشعري، فهي تمثيل لنا تقتضيه من آلام وأحزان وتجارب فهي تساعد على الإسهاب في التعبير باعثة لمشاعر خفية في النص موحية لأكثر من تصور¹ وقد تجلت في التشبيهات والاستعارات، الكنايات ...

فقد وظف لنا الشاعر العديد من التشبيهات تمثلت في: عينان كقنديلي معبد، الشعر العربي الأسود كالصيف.....

أما الاستعارات: الاستعارة المكنية في: لمحتها واحات المغرب، أتعبت الشمس، دوخت الشمس...

7 -البنية الشعرية: تنتمي القصيدة إلى الشعر الحر الذي يعتمد على التفعيلة العروضية وبصورة خاصة على

الأوزان الصافية وعنه تقول " نازك الملائكة": " ليس وزنا معيناً أو أوزان - كما يتوهم أناس - وإنما هو

أسلوب في ترتيب تفاعل الخليل تدخل فيه مجورا عديدة من البحور العربية الستة عشر المعروف².

أما عن أسلوبه هو: " شعر ذو سطر واحد ليس له طول ثابت بل يتغير عدد التفعيلات فيه من سطر

إلى سطر وفق قانون عروضي خاص"³.

¹ شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص232.

² نازك الملائكة، قضايا الشعر العربي المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط6، 1981، ص58.

³ نازك الملائكة، المرجع السابق، ص58.

فسطور الشاعر تختلف طولاً وقصراً ولا يجد هذا الطول إلا ما يحتاجه انفعال الشاعر وصدق تعبيره.

الموسيقى الداخلية والخارجية:

1 - الموسيقى الداخلية: وهي موسيقى تتماشى مع مشاعر وأحاسيس الشعراء، بحيث يجدون أنفسهم

يعبرون بطلاقة عما يجول في خواطرهم من خلجات نفسية متعاقبة (الحزن، الفرح، الاندفاع،

الحماس، الحسرة، الفخر...) ¹. ولهذا فقد جاءت لغة نزار قوية معبرة عن قرعة البنادق وحدة التفجع

والحسرة مستخدماً أسلوب النداء والاستفهام:

- يا ربي، هل تحت الكوكب يوجد إنسان؟

مما أحدث لونا من التناغم الموسيقي.

أ - التكرار: لون إيقاعي جميل يمنح الشاعر القدرة على تنويع معانيه بصورة مختلفة وإذا نظر في درجة تكرار

الحروف داخل الأسطر ومما تؤديه من لاحظنا:

● النون: من الأصوات القوية المجهورة والذي يتميز بجرس رنان يناسب درجة التفجع والمأساة)

الأحزان، سجان، أرنان، قرآن، إنسان، وهران...).

● الياء: أحد حروف اللين و الذي أسهم في إيطاء الحركة الإيقاعية للأسطر ليناسب موقف الأسي

والحزن: (العربي، الحربي، قنديلي، يا ربي...).

● الباء: صوت مجهور شفوي انفجاري يناسب خصوصية الموقف ودرجة الكآبة وإظهار الفجيعة

(إبريق، مكتوب، لهب، يصلب...).

● السين: من الأصوات الصفيرية الحادة يدل على القلق والحسرة (سعال، سجائر، أسود، الجنس

الجسد...).

¹ الأعمى التطيلي لعلي الغريب مُجد الشناوي، الصورة الشعرية، مكتبة الأدب للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2003، ص 250

- الهاء: صوت حنجري مهموس يدل التلهف (مجاهدة، يلهون، اللهب، يحفظه...).

أما بالنسبة لتكرار الكلمات والجمل فنلاحظ أن نزار قباني أستهل قصيدته بقوله:

الاسم جَمِيلَةٌ بُوحَيْرِدًا¹

وكأنه يقدم لنا بطاقة تعريف لهذه المجاهدة كررها أربعة مرات ليوضح جريان الإيقاع الموزع في ثنايا الأسطر لينفت الروح فيه الروح المتمردة والمتحدية لجبروت الاستعمار.

وأيضاً تكراره لكلمة المغرب في قوله:

أَجْمَلُ أُغْنِيَّةٍ مِنَ الْمَغْرِبِ

أَطْوَلُ نُحْلَةٍ

لَمَحَتْهَا وَاحَاتُ الْمَغْرِبِ²

ب- التركيب البديعي: هو الذي يشكل النسيج الداخلي للبيت الشعري خاصة اللفظية منها تعطي أداء إيقاعيا متميزا ونذكر منها:

- السجع: هو تواطؤ الحرفين من أجل إنشاء جرس موسيقي متوازن وهذا ما يظهر في الكلمات.

(الأحزان، سجان، أرنان، قرآن، إنسان، وهران...).

(اللهب، السحب، الأدب...)

(الأطلس، النرجس...)

(الأمطار، التيار، الأيسر، الأسمر...)

¹ نزار قباني، قصائد سياسية، ص 58

² الأعمى التطيلي لعلي الغريب مُجد الشناوي، المرجع السابق، ص 251.

2 -الموسيقى الخارجية: تمكن في وزن والقافية وما تلعبه الموسيقى في الموازنة بين الشكل والمضمون، يعود

لها الفضل في جلاء الفكرة التي يرغب الشاعر في إيصالها إلى المتلقي.¹

أ - البحور الشعرية: تعد البحور الشعرية من أهم الدعائم الرئيسية التي يركز عليها الشعر العربي،

والبحر هو تكرار الجزء الشعري. ولعل أول من وضعها هو الخليل بن أحمد الفراهيدي وهي

خمسة عشر بحراً بالإضافة إلى بحر المجنث الذي أتى به الأخفش من بعده.

الاسم جميلة بوحيرد²

الاسْمُ جَمِيلَةٌ بُوحَيْرِدٌ

0/0/ 0///0/ /0//0/
مُسْتَفْعِلٌ مُسْتَعْلِنٌ فَاعِلٌ أَوْ مَفْعُو

رقم الزنانة تسعونا

رَقْمُ زَنْزَانَةٍ تِسْعُونًا
0/0/ 0///0/ 0/0/0/

مُسْتَفْعِلٌ مُسْتَعْلِنٌ فَاعِلٌ أَوْ مَفْعُو

استعمل الشاعر في نظم قصيدته هذه بحر السريع وقد قال عنه الخليل:

بحر السريع ماله ساحل مستفعلن مستفعلن مفعولات

¹ إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة، الأنجو المصرية للنشر والتوزيع، د.ط. سنة 1981، ص 83.

² نزار قباني، قصائد سياسية، ص 58

وفي هذه الأبيات نلمس بعض الحدة والعنف وهذا ما يتلاءم مع بحر السريع الذي يعد بحر النقيضين إما الشدة أو الرقة ولا توسط بينهما، كما نلاحظ نوعاً من العاطفة المأزومة والمكروبة بما جس الاستعمار الذي قمعها وحد من حريتها وحرمها، من تحقيق مطالبها وطموحاتها.

ب-القافية: هي آخر ساكن في البيت إلى الساكن الذي يليه مع إضافة متحرك. وهي تنتهي في نهاية كل سطر.

والقافية من خلال السطر الأول تتجلى في: حَيِّدَر



حروفها: للقافية ستة حروف ونادراً ما تجتمع في قافية واحدة.

الروي: هو الحرف الأساسي في السطر ويتمثل في حرف الدال. هذه القافية لها حرف واحد تمثل في الروي.

أما ما يخص القافية الثانية هي عُونَا



حروفها:

- الروي: هو حرف النون.

- الوصل: يأتي بعد الروي وحرف مد إشباع حركة الروي، ينشأ الألف عن الفتحة والواو عن

الصفة والياء عن الكسرة وتمثل في الألف.

الردف: حرف مد واقع قبل الروي مباشرة وقد يكون واوا أو باءا أو ألفا وتجلى في الواو.

استخدم نزار قباني نوعين من القافية أولها:

- القافية المقيدة: ويكون فيها الروي مقيدا: بوحيرد.

- ثانيها القافية المطلقة: ويكون فيها الروي متحركا: تسعوناً.

فقد مزج بين القافيتين المقيدة للدلالة على الحزن وسكون نفسه وعلى الصمت والمطلقة للدلالة على الاستمرار

والتفاؤل والأمل. فالشاعر ينوع في قوافيه ويتلاعب بحروفها.

وعليه فقد وقف الشاعر في توظيفه للموسيقى الداخلية والخارجية في قصيدته هذه من خلال تحليلنا لها.

خاتمة

لقد خلصنا في نهاية البحث الذي حاولنا من خلاله إكتشاف أسرار المزاجية بين المرأة والوطن في شعر " نزار

قباني " الى جملة من النتائج كانت كالآتي:

- يعد نزار قباني شاعر المرأة بامتياز.
- حضور المرأة بشكل مختلف في شعر نزار قباني بشكل مختلف عن الأشكال الشائعة.
- براعة الشاعر في إسقاط الوطن على المرأة.
- رسم المرأة في لوحة فنية جمعت بين الجمال وبساطة التشكيل.
- تجسيد الشاعر للمرأة في صور مختلفة تتقاطع مع الوفاء والوطنية.
- محاولة الشاعر التنفيس عن المرأة من خلال الكشف عن مكبوتاتها.
- إقحام الشاعر المرأة في المجال السياسي (الشعر السياسي).
- إعلان الثورة على الواقع العربي المنغمس في الرجعية.
- التزام الشاعر ودفاعه عن القضايا العربية.
- إحساس الشاعر بصدمة نفسية هزت وجدانه وفجرت قلمه.
- إحساس الشاعر المرير بالخيبة والفشل الذين تسلطوا على الأمة العربية.
- يعتبر نزار قباني شاعرا متميزا بأسلوبه، فقد سطع في سماء الكتابة العربية بشتى تجلياتها، شغل العديد من المناصب وكان هدفه الوحيد توصيل صوت العرب إلى كافة أقطار العالم، فقد كان بمثابة الرسالة التي رفعت الراية العربية لتعرف على نفسها في أكبر العواصم العربية والدولية.

وخاتمة القول هي التمني بأن تفتح هذه الدراسة المتواضعة مجالا بحثيا لدارسين آخرين يتممون ما أنجزناه ويعمقون البحث في زوايا هذه الشخصية التي أغفلناها، والتي أحدثت ثورة فنية في مجال الشعر العربي

المعاصر، وذلك من خلال رؤية مخالفة استطاعت أن تفتح موضوعات كانت تعد من الطابوهات، خاصة

ما يتعلق بمكبوتات الإنسان العربي على مستوى الوجداني والواقع الاجتماعي والسياسي.

نسأل الله العليم أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، فإليه نسعى و نجد وهو نعم المولى ونعم

النصير.

قائمة المصادر

و المراجع

- 1 أحمد زياد، نزار قباني عاشق المرأة، مركز الـراية للنشر والإعلام، ط3، 2000
- 2 إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر.
- 3 إبراهيم أنيساء موسيقى الشعراء، مكتبة الأنجـو مصرية للنشر والتوزيع، د.ط سنة 1981.
- 4 +الأعمى التطيلي لعلـي الغريب مُجـد الشناوي، الصورة الشعري، مكتبة الأدب للنشر والتوزيع، ط1 سنة 2003.
- 5 تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، حبيبة.
- 6 سجـرا إبراهيم جبراء، النار والجـوهر، دراسات في الشعر، المؤسسة العربية للدراسات أو النشر، ط3 سنة 1982.
- 7 حامد زمران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية 1977.
- 8 زيادة أحمد، نزار قباني شاعر المرأة والسياسة، دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع، ط1، سنة 1966.
- 9 شـاكر النابلسي، الضوء واللـعبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، سنة 1986.
- 10- شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر.
- 11- عبد الحليم مخالفة، تجليات الأسطورة في شعر نزار قباني.
- 12- د. غريتم نجم النرجسية في أدب نزار قباني، دار الـرائد الغريبي، بيروت، د، ط، د، ت.
- 13- مُجـد رضوان، نزار قباني شهريار هذا الزمن، الكتاب العربي، دمشق، د ط د ت.
- 14- محفوظ كحلز، أروع القصائد نزار قباني في الحب والوطن والسياسة، دار النشر للطباعة والتوزيع د.ط سنة 2007.

- 15 - ماهر حسن ماهر، نزار قباني وعمر بن ربيعة، دراسة في فن الموازنة، دار النهضة مصر للنشر والتوزيع د.ط، سنة 1971.
- 16 - نازك الملائكة، قضايا الشعر العربي، منشورات مكتبة النهضة بغداد، ط6، سنة 1981.
- 17 - نبيل خالد أبو علي، نزار قباني شاعر المرأة والسياسة، مكتبة مدبولي، د.ط، سنة 1999
- 18 - نزار قباني، منشورات نزار قباني، قصتي مع الشعر، بيروت، د.ط، سنة 1982.
- 19 - نزار قباني الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، ط2، سنة 1982.
- 20 - نزار قباني، تزوجتك أيتها الحرية، منشورات نزار، ط2، سنة 1990
- 21 - نزار قباني، الديوان، تحقيق غالية مُجَّد حسن، دار الهدى عين مليلة الجزائر، ط1، دت.
- 22 - نزار قباني، تاريخنا ليس سوى إشاعة، منشورات نزار، بيروت.
- 23 - نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثاني والثالث.
- 24 - نزار قباني، قصائد السياسية بلا ديون، منشورات نزار قباني، د.ط، دت.
- 25 - نزار قباني، قالت لي السمراء، منشورات نزار، ط1، بيروت سنة 1989.